

أول أيام جلسة الثقة يُفجر سجلاً حول الوجود السوري

مخبير: نطالب بجلاء السوريين ونحذر من جرّ الحرب عبر الجنوب

كتبت ريتا شرارة (جريدة النهار ٢٠٠٠/١١/٣)

لم تكن جلسة مناقشة البيان الوزاري امس كسابقاتها في برلمانات الطائف منذ ١٩٩٢ . والميزة الوحيدة التي قد تطبعها انها كانت جلسة "مصارحة" على اكثر من صعيد، ربما لان بعض التوازن التمثيلي بدأت تكتمل صورته اخيرا في الندوة البرلمانية، كالآتي:

1- للمرة الاولى منذ عشرة اعوام يثار موضوع الوجود السوري او "البقاء السوري" كما قال النائب البر مخبير عندما ترجم عبارة "Existentialisme" الى العربية، من باب ان "الشعب اللبناني يطالب بعلاقات دبلوماسية مع سوريا"، وان يسجل للتاريخ "انه اذا اردنا ان نتمسك ببقاء الجيش السوري فيجب ان يبقى الحكم اللبناني في دمشق لا في بيروت"، ومستقيا من التاريخ نفسه الخطوة التي اقدم عليها الرئيس الراحل رياض الصلح عندما الغى العملة الموحدة مع سوريا "ليوقف الشك عند اللبنانيين والمزايدة عند السوريين"، ولم يتوان عن توجيه اسئلة مباشرة الى رئيس الحكومة رفيق الحريري مطالباً اياه باجوبة محورها "هل نحن مستعدون لحرب جديدة مع اسرائيل، ولماذا لا يحمي الجيش الحدود اللبنانية - الاسرائيلية، وكيف يمكن ان ننام مرتاحين، وهل نحن مستقلون، وتاليا، اذا كنا مستقلين فلماذا تطوير العلاقة مع سوريا، ولماذا عدم تحريك الجولان؟". وختم، باللهجة نفسها، ومن دون ان يخفف من حدة الخطاب، انه يخشى "ان يصبح الوضع في وجه سوريا كما بين الفلسطينيين والاسرائيليين اليوم".

وفي سياق المصارحة اياها، ولكن على طريقتة، لجم رئيس مجلس النواب نبيه بري نفسه عن الرد على الكلام على سوريا. انما "جبر" هذه المهمة للحريري. فيكون بذلك، دفع الحريري الذي عاد الى ثاني حكومات رئيس الجمهورية اميل لحود بحلة سياسية جديدة، الى التأكيد "ان الوجود السوري هو وجود ضامن وقد ادى دورا اساسيا في اعادة تكوين السلم الاهلي في البلاد، وان ليس لسوريا اطماع في لبنان"، واكثر، "ان لا تتناقض بين سيادة البلاد والوجود السوري". ولكن من دون ان يجيب مباشرة عن الاسئلة المباشرة التي وجهها اليه مخبير. وبذلك يكون السقف السياسي الاقليمي للحكومة قد تحدد.

2- والمصارحة ايضا انتقلت من العلاقة اللبنانية - السورية الى العلاقة اللبنانية - اللبنانية المتجسدة في الحكومة. وفي هذا الاطار، انتقلت هذه المصارحة الى التذليل، بكلام لم يعد طائفا وصار مذهبيا، على "تهميش" لا يطاول الموارد حصرا انما الكاثوليك في "رحلة عاصمة الكاثوليك في لبنان والشرق" (النائب نقولا فتوش) والموارنة في "بشري مهد الموارد" (النائب جبران طوق وقبلان عيسى الخوري) والسنة في الضنية وعمار (طوق)، في التركيبة الحكومية التي اظهرت ان "في لبنان أزمة كبيرة سببها الاول استمرار محاولة فئة من اللبنانيين الاستئثار بالسلطة وتهميش الفئة الثانية او تمثيلها بأشخاص يرضون عنهم ويتبعون لهم مما ينجر على الطائفة الكاثوليكية خصوصا والمسيحيين عموما" (فتوش).

وبذلك يكون تحول من كان لواءه التكلم في الشأن العام من منطلق وطني لا طائفي محاورا طائفا "لان الحكومة أرغمتنا ودفعت بنا، والنقمة الشعبية العارمة أجبرتتنا على ان نقول علنا ما يقوله الناس همسا"، لذلك "يجبروننا على ان نتحدث بلغة لا ترضينا" (طوق).

3- وطاولت المصارحة البيان الوزاري للحريري الذي قال عنه نواب انه "لا يختلف عن البيانات الوزارية للحكومات المتعاقبة منذ اتفاق الطائف" (النائب محسن دلول)، وانه "يرتد الى الوراء تبريرا لسياسات التأليف والتكليف ولا ينظر الى

الامام توقعاً لرؤية في المستقبل اللبناني، فلا يكون فيه شيء الا كلمات" (فتوش)، وعاد النائب صالح الخير الى الوراثة مؤكداً "ان البيانات الوزارية لم تتغير منذ اكثر من ربع قرن!"

-ولامت تلك الصراحة الرئاسة الاولى ملمحة الى "مصاهرة" (النائب جان عبيد) وناعية الشفافية "التي تغلبت عليها الباطنية" (النائب فارس بويز). وتذهب المصراحة الى حد التذليل، بحزن، على "وظيفة بعض الاجهزة التي بناها الشعب على حساب حرمانه واقتصاده وتحولت دوراً قمعياً لصلوات اهل على موتاهم"، وعلى "تضارب صلاحياتها وتناقض مهماتها غير المحددة فينتهي أمرها ان شعبها هو العدو في حين ان العدو في منأى عنها ولا علم للقضاء بنشاطاتها، وعلى افتقادها في معارك الوطن الكبرى وفي لحظات الحاجة الماسة اليها لنجدها في ساحات المعارك الانتخابية وفي الزوارب الداخلية" (بويز).

وأصعب ما في تلك المصراحة الاقرار ان "في ادارتنا أوراما وأمراضاً ما يكفي لتكبيها وكرجتها" (دلول). هل سيكون الحل "بالانتقال بالدولة من شبه كونفيدرالية طائفية الى دولة انماء اقتصادي؟" (دلول) أم سيبقى الشعب "مسكيناً، هذا المجموع المبهم، الحائر، الصابر، المتألم، المرتقب ابدًا طلائع الفرج تسوقها اليه مجموعة من اختارها او اختاروها له او توهم انه اختارها لتدبير شؤونه؟" (فتوش).

الجلسة

افتتح بري الجلسة الحادية عشرة الا ربعا وتلي اسم النائب المتغيب بعذر محمد برجاوي. وتليت مراسيم اعتبار الحكومة التي ترأسها رئيس الوزراء السابق سليم الحص مستقلة، وتكليف الرئيس رفيق الحريري تشكيل الحكومة وتأييف الحكومة. وطلب النائب علي عمار الكلام في النظام، وقال: "ان مرسوم تأليف الحكومة يبين ان الحكومة مؤلفة من ٣٠ وزيراً. فرد بري: ... والخير لقدام". فقال عمار: "اريد ان اسأل هل اننا امام حكومة من ٣٠ وزيراً ام ٣٢ وزيراً كما نسمع؟". فرد بري مازحاً: "هل انا لي دخل في هذا الموضوع؟". فقال عمار: "لا اعرف". وطلب بري ان يتلى البيان الوزاري ومن ثم توجه الى عمار: "نحن الان امام حكومة من ٣٠ وزيراً وحتى نصل الى ٣٢ وزيراً لكل حادث حديث". فرد عمار: "... يعني سنعقد جلسة ثانية". بري: "يجوز".

واعلن النائب مصباح الاحدب انه يستقيل من اللجان حيث انتخبت عضواً مع احتفاطي بحقي في حضور جلسات اي من تلك اللجان".

وقد فاجأت هذه الخطوة رئيس المجلس.

وتحدث الرئيس عمر كرامي في النظام قال: "ان الحديث يتزايد عن زيادة وزيرين في الحكومة (...). ولا اعرف لماذا يجري تهريب وزيرين زيادة".

وانتقد النائب جورج قسارجي بالطريقة التي يثار فيها موضوع الوزيرين: "لا اعرف لماذا يجري تناول هذه المسألة بهذا الشكل. ان زيادة الوزير الارمني حق لنا. ولا يجوز ان نتناول هذا الامر بطريقة غير جادة". فرد بري منزعجاً: "هذا الكلام اولا واخرا ليس في النظام. المزاح شيء والمسخرة شيء آخر. واعتقد ان عندك من الحجم ما يجعلك تميز بين ما هو مزاح وما هو مسخرة، وهذا الكلام ليس مسخرة".

ومن ثم اعطى بري الكلام الى الحريري الذي تلا البيان الوزاري.

وقال بري "ان هناك عددا من الاخوة في لجنة المتابعة لدعم الاسرى والمعتقلين يعتصمون امام مجلس النواب يطالبون بأن تنفذ ما اقرته الحكومات السابقة بموجب مراسيم سابقة. وكلفت نائب الرئيس ايلي الفرزلي ان يطلع على الورقة - المطلوب التي يحملونها وان يوافق عليها باسم مجلس النواب".

مخيبر: لا ثقة لحكومة

تعتبر الوجود السوري شرعيا

ومن ثم اعطيت الكلمة للنائب البر مخيبر الذي طالب بأن "يسأل رئيس الحكومة عن تقرير الامين العام للامم المتحدة كوفي انان عن الخطر الدائم على الحدود اللبنانية جنوبا، فما كاد اللبناني يرتاح من خروج العدو الاسرائيلي حتى عدنا الى الحدود من بوابة فاطمة الى بوابة رامية "تحركش" بالنار. مما اعاد حرب الحجارة الى الحدود الاسرائيلية - اللبنانية؟ لماذا هذه الجراءة. هل نحن مستعدون لحرب جديدة مع اسرائيل. هذا الشأن خطير وتتساءل لماذا لا يقوم الجيش بحماية الحدود اللبنانية؟

اريد ان تؤكد لنا الان لأن الشعب اللبناني ينتظر هذا التأكيد، ان التحذير الذي اعلنه اليوم انان، كيف يمكن ان ننام مرتاحين من الاعداء الحرب سريعا الى الجنوب. دولة الرئيس البيان الذي تليته جميل جدا ونحن لن نناقشه على اساس الاقتصاد او غيره. بل نقول ان ما ورد فيه لا يمكن ان ينفذ الا بغطاء سياسي غير موجود نهائيا في لبنان، انه مفقود.

هل يمكن ان تؤكد لنا ان الحرب لن تقع على الحدود الاسرائيلية - اللبنانية. نريد ان نطمئن الرأي العام اللبناني القلق الى ان من اهداف البيان تأكيد العلاقات مع سوريا. لا اعتقد ان احدا اكثر مني تمسكا بعلاقات مع الجار السوري. ولكن قبل كل هذا اتساءل هل نحن مستقلون حقيقة؟ اذا لم نكن مستقلين لماذا تطوير العلاقات؟

اقول ان لبنان في حاجة الى الوحدة التي تكلم عليها رئيس الحكومة وهذه الوحدة لا يمكن ان تكون بتطوير العلاقات مع سوريا، الشعب اللبناني يطالب بأن تكون هناك علاقات دبلوماسية مع سوريا. لماذا الاحجام السوري عن التبادل الدبلوماسي مع لبنان؟ وبعد هل سمعنا تصريحا لفخامة رئيس الجمهورية المصري عندما يقول الاستاذ (الرئيس) بشار (الاسد) ان الجيش السوري مفروض على لبنان لتوازن الافرقاء. من اين طلوعوا لنا بهذه القصة. لا فروق بين طوائف الشعب اللبناني. نقول ان هذا كشف النيات المبيتة حيال الشعب اللبناني.

في التاريخ هناك رياض الصلح، عبد الحميد كرامي، وغيرهما: كل الرجال، نرى ان المسلمين كانوا احدى زوايا البناء اللبناني المستقل. نحن نريد ان نتكلم على التاريخ. عندما الغى رياض الصلح هذا الرجل العظيم العملة بين لبنان وسوريا. هل كان ذلك كرها بسوريا. لا لاسمح الله. انما ليوقف الشك عن اللبنانيين وليوقف المزايدة عند السوريين.

كل هذه الاسباب تجرنا الى ازالة الوصاية الفرنسية عن لبنان بعدما كانت الاكثرية المسيحية في الواجهة.

المسلمون ضحوا بشهداء في تلك الانتفاضة التي قامت ضد الوصاية الفرنسية على لبنان. واذكر ان المسيحيين كانوا في الجبهة وسقط منهم شهداء وسقط ايضا بيار ابن اخ الخوري (...).

هناك احتجاجات تقوم ضد شرعية وجود الجيش السوري منذ البدء. نحن نعطي هذا المثل لنؤكد، وحدة الوطن اللبناني، ان للشعب مزاجاً وانتفض لانه رفض الوصاية، ومن رفضها؟ الموارد.

ومن ثم اتوجه الى الانتفاضة في فلسطين وهذا دليل على انهم يقومون بانتفاضة تربطهم بغيرهم من الشعوب العربية الامر الذي دفع بالدول العربية للتحرك.

اعطي مثلا اخر عن وحدة الشعوب، تذكرون جميعا الاتحاد المصري - السوري وعندما دخل الجيش المصري الى الشام والى الاراضي السورية. عندما تقدمنا للانتخابات الاخيرة كان مطلب الشعب جلاء الجيش السوري بعدما انسحبت اسرائيل من لبنان ونفذ القرار ٤٢٥ وبعد التحفظ عن مزارع شبعا كان الهدوء سائدا. بلشنا نحركش، لماذا لا تحركون الجولان؟ السبب الوحيد ان نجر الحرب الى الارض اللبنانية.

الاترون ان السياسة الحالية التي اتبعتها الحكومات السابقة ستؤدي بنا الى حرب جديدة على الارض اللبنانية؟ الشعب اليوم غير مطمئن لا من قريب ولا من بعيد الى الحال في الجنوب.

اطالب الحكومة بجلاء الجيش السوري عن لبنان لأنه سيورط الارض اللبنانية في حرب وخصوصا بعد الانذار الذي ارسله اليوم كوفي انان. نحن في هذا البيت المقدس المجلس الذي يجب ان يكون متحدا اتحادا حميما ليتمكن الشعب من الايمان بحكومته، وبأن الامور تسير سيرها الطبيعي الحكيم. ونحن في هذا المجال نتساءل الى اين المصير؟

ليسمح لنا المزايدون والمغالون بالقول اننا لسنا في حاجة الى ان يفرض علينا الوجود العسكري السوري في لبنان. من واجبات الحكومة اللبنانية ان تطلب من الرئيس السوري ان يزيل هذا الجيش لأنه سبب للطموحات وللمزايدات حتى لا يبقى في التداول ما يقال من اجل هذه العلة.

يجب ان يكون لنا سفير في سوريا ولسوريا سفير في لبنان كما مع الدول العربية الاخرى.

اريد لهذا المجلس ان يسجل انه اذا كنا نتمسك ببقاء الجيش السوري ان يبقى الحكم اللبناني في دمشق لا في بيروت وليسجل هذا الكلام في التاريخ. اخشى ان يصبح لبنان في وجه سوريا كما الوضع بين الفلسطينيين واسرائيل.

لبنان في حاجة الى الاطمئنان كما سوريا ونحن في حاجة الى الديمقراطية. ونرى ان مصلحتنا ومصلحة سوريا هي في انسحاب الجيش السوري الذي لا مهمة له الا اذا كانت الحرب هي النية".

لا يمكن ان نعطي الثقة لحكومة ورد في بيانها الوزاري ان الوجود السوري شرعي. وكلمة الوجود تعني البقاء وليس الوجود الموقت. اقول ان الثقة هي في يدي الحكومة رئيسا واعضاء، اذا بقي لبنان وحكومة لبنان حكومة ظل لحكومة سوريا فهذا خطير".
